تداعيات العولمة الثقافية وضرورة التصدي لاختراق الأمن الفكري

أ/ عبد الجبار جبار - جامعة الشلف

أ/ زوامبية عبد النور - جامعة الجلفة

مقدمة:

يعتبر الفكر البشري ركيزة أساسية في حياة الشعوب على مر العصور ومقياساً لتطورها، وتأخذ قضية الأمن الفكري حيزاً واسعاً من الأهمية، حيث أصبح من بين أهم التحديات التي تواجه دول العالم الثالث أمام التداعيات السريعة والكبيرة للعولمة، وخاصة في جانبها الثقافي أو ما يعرف **بالاختراق الثقافي**، ونظراً لكون قضية الأمن الفكري أضحت من بين أهم القضايا التي طرحت للنقاش سواء على المستوى السياسي، الخطاب الرسمي، وكذا على المستوى العلمي الأكاديمي،والتي تتفق على كون **الانحراف الفكري** الذي يمثل اختراقاً للأمن الفكري يمثل أخطر المشاكل الأمنية نظراً لكون آلياته متعددة ومتشعبة ويصعب التحكم فيها أمام هذا الحركية السريعة لتقنيات الإعلام والاتصال التي أتاحها عصر العولمة، حيث بات معروفاً أن الانحراف الفكري يحتاج لضرورة تحصين الفكر انطلاقاً من **الخصوصية الثقافية** لمجتمعاتنا.

وتمثل **العولمة الثقافية** أحد أساليب الاختراق الثقافي، حيث تعمل على محو الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية، لتحل محلها ما تعرف الثقافة العالمية، والتي تنبع من بيئة مغايرة، وهذا ما يطرح إشكالية الانعكاسات الخطيرة لها، نظراً لكونها في حقيقة الأمر هي تعبير عن خصوصية ثقافية وفكرية لمجتمعات غربية تتمتع بالنفوذ والسطوة على جميع المستويات الثقافية، الاقتصادية، العسكرية، والسياسية....

ونظراً للخطاب التقليدي الذي يرهب من العولمة وانعكاساتها، والذي يرى في **الانغلاق الثقافي** على مستوى الأنا وعدم النظر في سلوكيات الآخر، هذا التصور هو تصور تقليدي غير واع وينبع من النظرة المحدودة، وكذا إتباعه

لأساليب ردعية وتسلطية تقوم على الإكراه والضغط والتي من شأنها أن تفرز فكراً جامداً تسلطياً يفتح المجال أمام حدوث انحرافات سلبية كثيرة لا تقل في خطورتها عن الانحلال الفكري والحضاري.

وبذلك تظهر **ضرورة صياغة تصور متكامل للأمن الفكري ينبع من خصوصية واقعية**، ويتحقق هذا الأخير **بتضافر الجهود الرسمية وغير الرسمية** لتنمية الوعي الجمعي في إطار **منظومة محكمة للأمن الفكري** وتعتمد على استغلال العناصر الإيجابية التي تتيحها العولمة، وبذلك يمكن القول أننا أخذنا بالسبل الوقائية التي تتميز بالثقة والنجاعة تفادياً للسبل العلاجية التي تكون بعدية ونتائجها غير مضمونة من حيث فعاليتها.

ولعل الإشكالية التي سوف نعالجها من خلال هذه المداخلة هي: **كيف يمكن تأسيس منظومة محكمة للأمن الفكري في ظل الاختراق الثقافي للعولمة؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية، قمنا بتقسيم المداخلة إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: مفهوم الأمن الفكري.

المحور الثاني: العولمة الثقافية واختراق الأمن الفكري.

المحور الثالث: تحديات الأمن الفكري في العصر العولمة.

المحور الرابع: آليات التصدي للانحراف الفكري.

1- مفهوم الأمن الفكري:

الأمن لغة ضد الخوف، والأصل في الأمن هي الطمأنينة وزوال الخوف، أما اصطلاحا فإن مفهوم الأمن يتباين بتباين توجهات المفكرين ــ باعتباره مفهوماً مطاطاً يحتمل الكثير من المكونات والمضامين ــ، فمنهم من يعرفه على أنه يمثل تلك الإجراءات التربوية، الوقائية والعقابية والتي تتخذها السلطة لتأمين الأمن واستتابه داخلياً وخارجياً.[32]

[32] **عي فايز الجحني،الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 1421، ص 73.**

كما يعرف الأمن على أنه تحصين كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار التي تهددها داخلياً وخارجياً، وتأمين مصالحها، وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً، لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع.[33]

والحاجة إلى الأمن تنبع من التخوف من التهديدات لأمور ينبغي حمايتها وتحصينها، فكيف إذا كان التهديد يمس ركناً رئيسياً في تكوين الحياة بأكملها وهو الفكر.

فالفكر لغة، هو إعمال الخاطر في الشيء، أما معناه الاصطلاحي فهو جملة النشاط الذهني وأسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق، وبذلك فهو نتاج للتفكير الذي يمثل ضربا تجريبياً من العقل، ويتم باتفاق جزء بسيط من الطاقة، ويرتبط بعناصر مدركة في الزمان، ولهذا فإن التفكير يسبق الحركة ويتحكم فيها، ويعد ضروريا لاختبار الواقع.[34]

ويعد الفكر نتاجاً لمعلومات ومعارف يتلقاها العقل **بحراك ح**ر فينتج من خلالها تصور يحدد له نظرة معينة للأمور سواء كانت هذه النظرة جزئية أو مكتملة وصحيحة أو يشوبها بعض من القصور.

ويتشكل الفكر من خلال الدور الرئيسي الذي يقوم به العقل كميزان يوفق بين القيم الروحية والغرائز البشرية من منطلق الفطرة الإنسانية، لكل ما تؤثر وتتأثر به النفس البشرية من أقوال وأفعال وأنظمة ومعاملات تشكل بيئته ومحيطه.

ويتأثر الفكر بعوامل يتفاعل معها العقل بشكل مباشر أو غير مباشر، سواء كانت تلك العوامل ناتجة عن حادثة أو معاملة، فيكون التأثير بحسب علاقته بها أو بمن حوله، أو بمن يرى أن له علاقة به، بذلك فهو معرض إلى استقبال رسائل ومؤثرات تدفعه نحو الاتجاه الذي يرغب فيه، ومن هنا يأتي دور الجهات الفاعلة والمؤسسات المعنية على المستوى التعليمي، التربوي، الديني، الاجتماعي،

---

[33] علي هلال، تحديات الأمن القومي العربي في العقد القادم. عمان: منتدى الفكر العربي، 1986، ص 12.

[34] عبد السلام السليمان، صلة الغلو في التكفير بالجريمة. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1427، ص 50.

السياسي، الثقافي، الاقتصادي،...، سواء كانت هذه المؤسسات حكومية أو ضمن مؤسسات المجتمع المدني، والتي تهدف لحماية الوعي الثقافي الجمعي والتصدي لأي مظاهر تؤدي لانحرافه.

وبالنسبة للمفهوم المقترن وهو الأمن الفكري فهو: تأمين الأفكار وعقول أفراد المجتمع من كل معتقد خاطئ، مما من شأنه أن يشكل خطراً على أمن واستقرار الدولة والمجتمع، ويتحقق ذلك من خلال برامج وخطط الدولة التي تقوم على الارتقاء بالوعي العام لأبناء المجتمع من جميع الجوانب: السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية...، والتي تعمل على تحقيقها المؤسسات الحكومية إلى جانب المجتمع المدني.

كما يعرف على أنه سلامة فكر الإنسان من الانحراف والخروج على الوسطية والاعتدال في فهمة لمختلف الأمور: الدينية، السياسة والاجتماعية مما يؤدي إلى حفظ النظام العام وتحقيق الاستقرار.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى بعض الأبعاد المرتبطة بمفهوم الأمن الفكري، حيث أن الفكر حراك حر وإضافة أمن على الفكر هو من التقييد الذي يتعارض مع مضمون الفكر، وقد يبدو هذا التصور للأمن الفكري غير منسجم وسوف يؤدي إلى الإخفاق والخلل، لكن ينبغي النظر إلى هذا الطرح من زاوية غير ضيقة تبحث في الأبعاد والتداعيات، حيث أن الأمن الفكري بهذا الرؤية الشاملة والواعية، ترى فيه حماية لمكتسبات الإنسان المحلية من الانفتاح غير المدروس على العالم الخارجي، دون الوصول إلى مرحلة الجمود المحض.[35]

والأمن بمفهومه الشامل يندرج ضمنه العديد من الجوانب، ومنها تلك المتعلقة بالأمن الفكري كأحد أركان المنظومة الأمنية، إلى جانب أركان أخرى وهي: الأمن النفسي، الأمن الغذائي، الأمن الاقتصادي، الأمن السياسي....،

---

[35] **يمكن إحلال الحماية محل الأمن، والإنسان محل الفكر، كما يمكن إدراج مفاهيم قد تبدوأكثر دقة مثل السلم الفكري، والانسجام الفكري، لكن يبقى مفهوم الأمن الفكري هوالأصلح نظراً لكونه غاية تسعى الدول الغربية للقضاء عليها خدمة لمشاريعها الرامية للغزوالفكري.**

وتترابط هذه الأركان الأمنية فيما بينها بشكل محكم، من خلال علاقات وظيفية (تأثير وتأثر)، بذلك فالاختلال في الأمن الفكري سينجم عنه اختلال في أركان الأمن الأخرى وهذا الكل المتكامل من أركان الأمن المختلفة يعبر عنه **بالأمن الوطني**، والذي يعني تأمين الدولة والحفاظ على مصادر قوتها السياسية، العسكرية، الاقتصادية، والاجتماعية، وإيجاد الاستراتيجيات والخطط الشاملة التي تكفل تحقيق ذلك، يبرز هنا البعد الفكري والمعنوي للأمن الوطني الذي يهدف إلى حفظ الفكر السليم والمعتقدات والقيم والتقاليد الكريمة، هذا البعد من الذي يمثل بعداً استراتيجياً للأمن الوطني لأنه مرتبط بهوية الأمة واستقرار قيمها التي تدعو إلى أمن الأفراد وأمن الوطن والترابط والتواصل الاجتماعي، ومواجهة كل ما يهدد تلك الهوية وتبني أفكار هدامة تنعكس سلباً على جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لأن الهوية تمثل ثوابت الأمة من قيم ومعتقدات وعادات، وهذا ما تسعى العولمة بمشاريعها المختلفة خاصة الثقافية منها على مهاجمته لتحقيق الاختراق للأمن الفكري، وترويج للانحراف الفكري من خلال زوال الخصوصية أمام طرح غربي بديل.[36]

ويعرف الأمن الفكري أيضاً على أنه يعني الحفاظ على المكونات الثقافية والأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة يصب في صالح الدعوة لتقوية هذا البعد من أبعاد الأمن الوطني، وهو بهذا يعني حماية وصيانة الهوية الثقافية من الاختراق أو الاحتواء من الخارج، ويعني أيضا أن الأمن الفكري هو الحفاظ على العقل من الاحتواء الخارجي وصيانة المؤسسات الثقافية في

---

[36] عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي.(نحوبناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب - دراسة وصفية لدور مؤسسات التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية)، بحث مقدم لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في العلوم الأمنية، قسم العلوم الشرطية بكلية الدراسات العليا في جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2001، ص 123.

الداخل من الانحراف، والأمن الفكري مسألة يجب أن تحظ باهتمام المجتمع مثلما تهم الدولة.[37]

فالأمن الفكري هو إحساس المجتمع بأن منظومته الفكرية ونظامه الأخلاقي الذي يرتب العلاقات بين أفراده داخل المجتمع ليس في موضع تهديد من فكر متطرف وافد.

وتبرز أهمية الأمن الفكري في معرفة واقع المجتمعات التي تعاني من انحراف فكري (اختراق للأمن الفكري)، حيث أن هذا الأخير هو التهديد الذي ينبغي على منظمة الأمن الفكري القضاء عليه، لأن الانحراف الفكري يعتبر من أهم مهددات الأمن والنظام العام، ومن أبرز وسائل تقويض الأمن الوطني بمقوماته المختلفة.

2- العولمة الثقافية واختراق الأمن الفكري:

إنه من الصعوبة بمكان تحديد تعريف جامع مانع للعولمة، بحكم كونها ظاهرة لازالت بعيدة عن التشكيل في صورتها النهائية، كما ترجع هذه الصعوبة إلى كونها ذات مستويات متعددة اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، عسكرية،...، وكل مستوى من هذه المستويات يتطلب تعريفاً له، إلى جانب تباين آراء المفكرين وتوجهاتهم حول العولمة، وبعد الاطلاع على مجوعة من التعاريف المتباينة، إلا أنها تتفق حول **التعريف الإجرائي الذي يرى العولمة على أنها: سهولة حركة السلع والخدمات، الأفراد، الأفكار والمعلومات، المؤسسات وأنماط من السلوك الإنساني بين الدول على نطاق كوني.**[38]

---

[37] **صالح بن محمد المالك،((دور الأمن الفكري في الحماية من الغزو الفكري))، الجزيرة، الرياض، العدد 11781، 30ديسمبر 2004، ص 12.**

[38] **أسامة أمين الخولي وآخرون، العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 89.**

*** هذا التصور في الإطار النظري فقط، الذي ينسجم والخطاب الغربي الترويجي للعولمة والذي يرى فيها عالمية الطرح، بينما الحاصل على أرض الواقع بعيد كل البعد عن العالمية نظراً لاختراق خصوصية الآخر والقضاء على هويته مقابل هوية غربية تمثل بيئتها فقط.**

هذا إلى جانب العولمة وما أتاحته هذه الأخيرة من تطورات هائلة في شتى المجالات والتي مهدت للتقارب بين الشعوب، حتى أضحى العالم قرية صغيرة، وأدت إلى انفتاح الثقافات على بعضها البعض، متبادلة بذلك التأثير والتأثر فيما بينها، مما يسهل من إمكانية دخول التيارات الفكرية الوافدة بما تحمله من من إيجابيات وسلبيات على حد السواء.*

كما أنه لا مناص لنا من الربط بين مفهومي كل من **العولمة والأمركة،** أو على الأقل اعتبار كون العولمة هي تجسيد للهيمنة الأمريكية وبدعم من الدول الغربية المتقدمة، وقد يطغى على هذا التصور البعد الاقتصادي لكن ينبغي التنبه للمشروع الحضاري المنطوي ضمن العولمة (الأفكار والمعلومات)، والذي يهدف لإقصاء كل ما هو خصوصي من خلال ما يعرف ب: **الاختراق الثقافي.**

وبحكم كون الإنسان هو المتلقي الأساسي للمعلومة من مصادرها ضمن البيئة المحيطة بمكوناتها وفاعليها، سواء كانت هذه المعلومة في سياق العادات الاجتماعية (مبادئ، قيم، تقاليد...)، العلاقات الاقتصادية (أنظمة، حقوق، حقوق، أخلاقيات....)، الآداب الثقافية (قراءة، تعليم، حوار، تواصل، تربية...)، قيم دينية (عقيدة، أحكام، عبادة،...)، ومؤثرات حديثة وعصرية (وسائل، معدات، تقنية،...)، كلها تشكل الكل المتكامل من وعير وفكر المتلقي، بذلك يستهدف الاختراق الثقافي الآلية التي تحفظ الخصوصية الفكرية والثقافية وهي العقل، من خلال السيطرة على الإدراك وتوجيهه، بما يؤدي إلى التشويش على نظام القيم.

بذلك فإن العولمة تكرس ثقافة جديدة تحل محل الاختلاف الاديولوجي والعقائدي، من خلال كون العولمة محملة بإيديولوجيا الاختراق أو ما يعرف بثقافة الاختراق التي تقوم على نشر وتكريس كل من:[39]

[39] **نفس المرجع، ص 102.**

- **الفردية**، والتي تقوم على اعتقاد الفرد أن حقيقة وجوده تتجسد فرديته، بذلك فكل ما عدا الفرد نفسه هو أجنبي عنه ولا يعنيه، بذلك فهذا يعني تمزيق الروابط الجماعية، من خلال إلغاء الهوية الجماعية.
- **الخيار الشخصي** مرتبط بالفردية ويكملها، ويستند إلى الحرية ويكرس النزعة الأنانية ويقضي على الروح الجماعية.
- **الحياد** الذي يكرس التحلل من كل التزام أو ارتباط بقضية ما.
- **الطبيعة البشرية لا تتغير**، ويهدف إلى صرف النظر عن رؤية الفوارق بين الأغنياء والفقراء، البيض والسود،...، حيث أن هذه الفوارق هي أمور طبيعية وبالتالي فإن هذا المبدأ من شأنه شل روح المقاومة في الفرد والمجتمع.
- **غياب الصراع الاجتماعي**، والذي يرمي إلى الاستسلام للجهات المستغلة من شركات، وكالات ــ التي غالباً ما تكون أدوات للعولمة ــ ومعناه التطبيع مع الهيمنة والاستسلام للتبعية الحضارية.

وبذلك تعتبر العولمة مفهومًا غير محايد، بل هو مفهوم محمل ومثقل بالمضامين المعرفية والحضارية الغربية، وخطورة العولمة أنها وسيلة قوية جدًا ومتطورة لنقل المشروع الغربي إلى أنحاء العالم، كما أنها تحمل قِناعًا تجميليًا فائقًا يقدمها في إطار من الإغراء الشديد للدخول والولوج إليها، وتصل محاولة تجنب التفاعل مع العولمة إلى درجة الاستحالة الحقيقية، إلاّ إذا اختارت أمة أو مجموعة أن تدخل كهفًا من الكهوف، وتعزل نفسها عن العالم وصولاً إلى الخلاص الروحي!.[40]

ومما يزيد من صعوبة وخطورة تحدي العولمة أمام الفكر هو المواجهة العسكرية والسياسية التي تتولاها الولايات المتحدة، والتي تفجّرت بشكل كبير مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من تحديات، وظهور التيار متطرف الذي يتميز بالغلوفي رفض الآخر، والميل إلى الانغلاق الفكري حرصًا على التأكيد

[40] **حمد مجدي محمود حجازي. الثقافة العربية في زمن العولمة، الرياض: دار قباء،2001،ص 27-29.**

على الهوية والذات أمام روح التبعية والهزيمة التي تنتاب فئات كبيرة من المفكرين والساسة.

هذا إلى جانب تركيز الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها رائدة العولمة (الأمركة)، حيث عمدت على التغلغل في فكر المتلقي وكرست جانباً كبيراً لتحقيق ذلك، حيث نجدها مسيطرة في المجالات التي تستهدف الفكر والعقل بالدرجة الأولى مثل صناعة السينما والترفيه، حيث تدعم شركات الإنتاج والإعلان لمستوى الثقافة الأمريكية المتدنية (ثقافة غير النخبة)، لما تتميز به من سلاسة وبساطة في الانتشار والتغلغل ومن ثم السيطرة، هذا إلى جانب اهتمامها بثقافة النخبة حيث أن الجامعات الأمريكية تعتبر من أرقى جامعات العالم (ليس أعرق نظراً لحداثتها مقارنة بالجامعات الأوروبية)، والذي من شأنه التغلغل أيضاً لدى الدول المستضعفة ولكن ليس من خلال عامة الناس وإنما من خلال النخب التي تلقت تكويناً في الجامعات الأمريكية والغربية لتعود لبلدانها نخباً مؤدلجة جاهزة لنشر العولمة.[41]

وحتى نكون موضوعيين، فإن الواقع الفكري والحضاري والذي يجب حماية أمنه الفكري من الثقافات الغازية باسم العولمة لم يكن مثالياً بما ينبغي الدفاع عنه، حيث أنه لا يختلف اثنان على الواقع الفكري والحضاري المتأزم، وقبل أن نصطدم بتحديات العولمة الثقافية جرت محاولات عديدة لتجاوز أزمتنا الثقافية والاجتماعية، وإن كان الجميع اتفق على وجود الأزمة وضرورة التغيير إلا أنهم اختلفوا حول الآليات والمناهج، هذا الواقع الذي يتميز بدرجة عالية من الفشل في المشاريع التنموية، وعن فساد كبير في الممارسة السياسية، وحالة متقدمة من خطورة الأوضاع الاقتصادية والثقافية، وما يرتبط بذلك من فقر شديد وبطالة ونسب مرتفعة من الحرمان، والأمية وغياب الإنتاج العلمي، وضعف تدفق المعلومات، وإهدار كبير للثروات، ناهيك عن الأوضاع السياسية البائسة المرتبطة بالديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات العامة.

---

[41] أسامة أمين الخولي وآخرون، مرجع سابق الذكر، ص 146.

كذلك ضرورة التأمل في خصوصية ثقافتنا بكل ما تحمله من قيم وعادات وتقاليد متأثرة بشكل مباشر بمقومات دينية قائمة على أساس النقل والتقليد، وتفتقر إلى ركائز فكرية فاعلة، وهذا ما هيأ ثقافتنا نحو إمكانية الاختراق العولمي من آليات عصرية ونظم للإعلام والاتصال الحديثة، ليظهر هذا الاختراق في مظهرين:

- الرفض المطلق للعولمة، وهذا ما يبرز في التطرف الفكري[42]، والذي يجد وسائل يغلب عليها طابع العنف.
- القبول المطلق للعولمة، والذي يظهر في الذوبان والانحلال الفكري والمعبر عنه بالانفتاح والعصرنة....

وبالتمعن في الوقائع والأحداث الحالية، فإن واقعنا كدول مستضعفة يبرز من خلال صراع فكري بعد أن فشلت الوسائل الأخرى، فعمد الغرب إلى غزو الأفكار عن طريق وسائل مختلفة أتاحها عصر العولمة.[43]

وغالبا ما تعمد العولمة الثقافية نحو الغزو الفكري الذي من شأنه تحقيق **الانحراف الفكري** باعتباره الاستخدام الخاطئ للعقل، والميل به عن جادة الصواب، مما ينتج عنه الضرر بالنفس، والإضرار بالآخرين، ويعتبر الغزو الفكري أخطر من الغزو العسكري لأنه مرتبط السرية من حيث آليات تحقيقه ــ على الأقل في بدايته ــ، وهذا ما يتيح إمكانية عدم الاستعداد والتجهيز لصده، والوقوف في وجهه.[44]

3- تحديات الأمن الفكري في العصر العولمة:

أ. إن مشروع العولمة، لا يمكن فصله بأي شكل من الأشكال، عن **المشروع الثقافي الغربي**، إذ هي إحدى استراتيجياته، وكل خطواته السياسية والاقتصادية

---

[42] ولعل التطرف الفكري ــ ولا نقصد هنا النظرة الضيقة للتطرف التي ترتبط بالجانب الديني البحت ــ يمثل أحد تداعيات الانحراف الفكري كنتيجة للتيارات الفكرية الوافدة ضمن تداعيات العولمة الثقافية.

[43] برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة. دمشق: دار الفكر، ط2، 2000، ص 56.

[44] نفس المرجع، ص 59.

والتجارية، هي تخدم في المحصلة الأخيرة، المشروع الثقافي الغربي. ولا شك أن امتلاك المشروع الثقافي الغربي، هذه الإمكانيات، يشكل تحديا صريحاً للأمن الفكري بمشروعاتها ومؤسساتها وآفاقها.

ب. إن مشروع العولمة، وفر للثقافة الغربية، جميع **الإمكانات المادية والفنية**، التي تجعله يساهم مساهمة رئيسية في صناعة الرأي العام العالمي، مع ضرورة اعتبار كون هذه الإمكانات، تعتبر تحديا ثقافيا واجتماعيا إلى الأمن الفكري، حيث لازالت منظومته تعتمد في صياغة برامجها وتعبئة الأفراد، وصناعة الرأي العام على وسائل وإمكانات المشروع الثقافي الغربي ومؤسسات العولمة.[45]

جـــ. **إن القيم** التي تبثها وسائل ومؤسسات العولمة، والسلوكيات التي تعطى لها الأولوية، هي قيم وسلوكيات لا تتأسس وفق معايير عالمة، بل تعبر عن خصوصية المصدر لهذه القيم، وهذا ما يهدد الأمن الفكري.

د. **تعدد التصورات الفكرية** في محاولاتها لفهم العولمة، طبيعتها، مضمونها وقواها وصلة ذلك بالنظام العالمي والعلاقة بين قواه المختلفة في ظل أجواء تبرز هيمنة أمريكية، وانعكس ذلك محاولات التعامل مع مشاريع العولمة والتي ظلت وفي الأغلب الأعم محصورة في مجال الرؤى الفكرية والثقافية والدينية والحضارية العامة دون أن تأخذ اتجاهاً أكثر جرئة وربما أكثر عمقاً وهوالمتعلق بالسياسات والبرامج.

هـــ. التحديات التي تواجه **المثقف** والناتجة عن أزمة متغلغلة في مجالات السياسة والفكر والمجتمع، نذكر منها: انعكاس أيدلوجيات الفكر السياسي المطبق في كل دولة على الواقع الثقافي الفكري، دون إغفال آثار الغزوالفكري والثقافي، والفراغ الفكري. ارتفاع نسبة الأمية في المجتمع.....

و. **التحدي الإعلامي** باعتباره أحد أهم الوسائل التي تتخذها العولمة ومن شأنها أن تهدد الأمن الفكري، حيث أن الواقع الإعلامي والاتصالي العالمي يشهد ثورة

---

[45] **حسن محمد طوالته، ((العولمة جذورها – مضامينها- أثارها رؤية قومية في العولمة)). مجلة دراسات دولية، العدد12، 2001، ص 133-134.**

الاتصالات الحديثة، انعكس على اتساع نطاق تأثير وسائل الإعلام وتعاظمها بشكل لافت، حتى غدا سلطة أولى، فاشتدت الحاجة إلى حماية أسس الهوية الثقافية والوطنية الأصيلة في مواجهة هذه الآلة الإعلامية الهائلة، وهنا يكمن التحدي نحوصيغة منظومة إعلامية فاعلة وفعالة، وقادرة على حشد الرأي العام في إطار الخصوصية البيئية المحلية وكذا واقع التحولات العالمية، بما من شأنه إمكانية تحصين الرأي العام تجاه الحملات الإعلامية المغرضة والتي تنطوي تحت راية العولمة، ومما يزيد من قيمة هذا التحدي هومحدودية الإعلام الوطني خاصة أمام نقص الكفاءات، غياب ــ أوبالأحرى ــ تغييب حرية الإعلام وتجاهل حق المعرفة، غياب التخطيط، تفشي الإشاعة، إمكانية استغلال وسائل الإعلام في أي صراع لزيادة الانقسام وإثارة الفتن، وتحديات الاختلاف بين تيارات المجتمع.....

ي. التحدي الاجتماعي، والمتمثل في ضرورة تقويض النعرات الطائفية والعرقية داخل المجتمع، والتي تهدد التماسك الاجتماعي الوطني، إلى جانب ضرورة القضاء على جميع أسباب الجريمة العادية منها والمنظمة التي تزعزع الاستقرار الاجتماعي.

ز. التحدي السياسي، والمتمثل في ضرورة إقامة دولة مؤسسات، ودولة قانون في إطار الحفاظ على كيان الدولة واستقرارها الأمني، إلى جانب ضرورة تبني آليات فعالة للقضاء على الإرهاب الفكري، الاجتماعي والسياسي.

حـــ. التحدي الاقتصادي، والمتمثل في عدم الاستقرار الاقتصادي وتفشي البطالة والفقر وتحديات البنى الاقتصادية التي هي في مجتمعاتنا متخلفة، وكذا المديونية، واتساع الهوة بين اقتصاديات الدول المقدمة والدول النامية،

ط. التحدي الثقافي، والمتمثل في ضرورة إفشال التأثير الثقافي والقيمي الوافد والمضاد لخصوصيتنا الحضارية والهادف للهيمنة والتأثير من خلال الامتداد الثقافي بعناوينه المختلفة.

من خلال ما سبق التطرق له، يتضح أن مشروع العولمة، يعتبر تحديا حقيقيا لمنظومة الأمن الفكري، لذلك يجب التطرق لإستراتيجية عمل من شأنها

تدعيم الأمن الفكري في عصر العولمة، حيث أن تبني الموقف السلبي وعدم اتخاذ هذه التحديات كحوافز للعمل والفعل الثقافي الحضاري، يجعلنا مستسلمين أمام الانحلال في ثقافة الآخر وأولوياته واهتماماته ومصالحه.

4- آليات التصدي للانحراف الفكري:

إن الوقوف بقوة في وجه مصادر الغزوالفكري للعولمة والذي يسبب الانحراف الفكري يمثل ركيزة أساسية لتحقيق الأمن الفكري[46]، حيث أنه مسألة معقدة وشائكة مقارنة بالأبعاد الأمنية الأخرى حيث تتمتع بالوضوح، فـــالانحراف الفكري لا يكون واضحاً لدى الجميع، وفي كل الأوقات، إذ لا يملك القدرة على تحديده إلا فئة من المؤهلين والمتخصصين.

إن مصادر تهديد الأمن الفكري متعددة وتأتي أحيانا كثيرة من خلال حملات العولمة الوافدة لمجتمعاتنا، ولما كانت الرقابة الأمنية أوالضوابط والقيود على ما تقوم بعرضه وبثه تلك الحملات من خلال البث الإعلامي والانترنت وغيرهما من الوسائل التي من الصعوبة بمكان نظراً لواقع العولمة وعصر تدفق المعلومات بكثافة، فقد أصبح اللجوء إلى إستراتيجية اجتماعية متكاملة أمراً ملحاً للمساهمة في الحفاظ على العقول من الغزوالفكري وتحصينهم ثقافياً من خلال المعلومات الصحيحة التي تزيد الوعي الأمني والثقافي وذلك لإبعادهم عن الانحراف الفكري، الوقوع في الجريمة والخروج على الأنظمة والقيم والعادات السليمة.

ونقطة الانطلاق التي ينبغي التسليم بها هي أن الأمن الفكري ليس فقط مسؤولية السلطات المعنية بالأمن الوطني ــ المؤسسات الحكومية ــ، إنما أيضا المؤسسات الاجتماعية بكل أنواعها ــ منظمات المجتمع المدني ــ، سواء

---

[46] يوجد قول شائع منسوب للملك الفرنسي لويس التاسع، عندما أطلق سراحه مقابل الفدية في مصر: «تكسرت الرماح والسيوف، فلنبدأ حرب الكلمة»

التعليمية، الثقافية، الدينية....، والتي لها دور فعال وحيوي في المساهمة في تحقيق أعلى مستويات الأمن الفكري، وهنا ينبغي التنويه بدور الأسرة والمدرسة والجامعة والمسجد...، يضاف إلى ذلك وسائل الإعلام بكل أنواعها والتي تنطلق من المجتمع، ويتمثل هذا الدور بالدرجة الأولى في نشر الوعي الأمني الفكري، وتنمية العلاقات بين رجال الأمن والمواطنين، ورفع معنويات رجال الأمن مما يعمق الشعور بالانتماء لهذا الوطن، وتبصير الجميع بالنتائج الوخيمة للانحراف الفكري وخطره على المجتمع، إذ أن العملية التعليمية والتوجيه الأسري، بالإضافة إلى دور المسجد، كل هذه العناصر تسير في خط متواز لدفع الأفراد إلى اتجاهات فكرية سليمة ورشيدة وصحية تنتج سلوكاً سوياً يؤدي إلى إقامة علاقات ايجابية تدعمهم خلال مواجهة الأفكار الهدامة.

إذن لا بد من رسم إستراتيجية واضحة وقوية لتنمية ودعم الأمن الفكري لتتحقق طموحات الدولة في توفير الأمن، والإسراع في وضع الإجراءات الوقائية، ومتابعة المتغيرات والصراعات الخارجية إقليمياً وعالمياً مصحوبة بالجاهزية والاستعداد لعلاج المشاكل والأزمات التي قد تهدد الأمن الوطني حيث أن معالجة الانحراف الفكري أضحى مطلباً ضرورياً وملحاً، وقضية مصيرية تتحدد عليها كينونة المجتمع، ولضمان ذلك اقترحنا **مجموعة من التوصيات:**

- الاهتمام **بالمنظومة التربوية** والعمل على تفعيلها، إذ أنه من الخطأ الاعتقاد بأن دور المؤسسات التعليمية يتوقف فقط عند التعليم بمعناه التقليدي (القراءة والكتابة) كما يشير البعض، بل إن دورها يزداد أهمية في كل المراحل خاصة المتوسطة والثانوية نظراً للتطور العمري الذي يمر به الطالب وتحديداً الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب[47].

[47] وهي مرحلة المراهقة والتي تتميز بسهولة التغلغل في أفكار الشباب وإمكانية السيطرة عليها.

حيث تساهم المدرسة في ترسيخ الفكر وتكوين الاتجاهات حيث يتم التعامل مع المعلم كقيادة جديدة ونموذج سلوكي مثالي تعتبر المدرسة الأداة الأكثر أهمية في صياغة قيم وتوجهات الدولة والمجتمع في نفوس الناشئة من خلال البرامج التعليمية، المناهج، طاقم التدريس...، وبذلك تتحول تلك البرامج إلى واقع من خلال الاتجاهات والسلوك.[48]

- **تفعيل دور المسجد،** والذي يتمتع بدور كبير في حماية وتحصين منظمة الأمن الفكري، لما يتميز به من خصائص فريدة أهمها إحاطته بهالة التقديس وثبات وايجابية المعايير، إلى جانب تمتعه بقدر من الإجماع.

ويقوم المسجد بتوعية المجتمع بالأحكام التي تلقى جدلاً فكرياً مثل: الجهاد، المقاومة، والتأصيل الفكري والشرعي لها، كذلك ينبغي على هذه المؤسسة المبادرة كلما اقتضت الحاجة إلى بيان موقف الإسلام من القضايا المعاصرة التي تهم المجتمع، وبذلك تصبح رسالة المسجد تتمتع بقدر من الشمولية بحيث يتجاوز الدور الديني إلى الأدوار الاجتماعية، الثقافية، التربوية، والأمنية.

أما الجهات المعنية بالإشراف على المساجد فدورها هواختيار الأئمة والخطباء وفق معايير دقيقة مع استمرارية المتابعة وتقويم الأداء ووضع البرامج المناسب لرفع مستوى ثقافة الأئمة والخطباء والوعاظ....[49]

دور الإعلام في تحقيق الأمن الفكري، حيث يتفق الجميع على أن هذا عصر العولمة الذي نعيشه يمتاز بأنه عصر الإعلام وتدفق المعلومات وتعدد وسائل الاتصال وتطورها مما يجعل التحكم فيما تبثه من مواد

---

[48] بندر بن علي الشهراني،(تصور مقترح لتفعيل دور الدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكر)، مذكرة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير، كلية التربية جامعة أم القرى، الرياض، 2009، ص 160.

[49] عبدالرحمن بن عبدالله الصبيحي، ((الأمن الفكري في الإسلام مقوماته ومزاياه)). صفحة الـــرأي، الكويـــت، 2009، ص 12.

إعلامية وفكرية وثقافية ومعرفية وتقنية... أمراً بالغ التعقيد والصعوبة، إن لم نقل انه مستحيلاً، لكن ينبغي إدراك كون أن الإعلام هوسلاح ذوحدين، حيث أنه يمكن أن يكون عاملاً مهماً من عوامل صلاح الفرد والمجتمع أين يتحدث عن قضاياها ويبث همومها، ويحافظ على ثوابتها، وينشر فكرها السليم ويغرس قيمها وأعرافها ويدعم قضاياها المصيرية، ويدافع عن مكتسباتها وثرواتها وخيراتها، والعكس صحيح وارد.

- **ضرورة تكاتف جهود الأجهزة الحكومية إلى جانب مؤسسات المجتمع المدني** لتحقيق الأمن الفكري ضماناً لاستقرار وأمن المجتمع من خلال التصدي للمؤثرات والانحرافات الفكرية.
- **الوعي الحضاري والتجديد الثقافي**، حيث أنه لا يمكن مواجهة تحديات العولمة، إلا بحضور الوعي الحضاري وتكثيف آلياته في حياتنا، حتى تتأسس الشروط اللازمة للانطلاق في رحاب الوعي وآفاقه بعيدا عن أطر التقليد الضيقة أوخيارات التبعية المذلة، ذلك الوعي الذي ينهي كل مفردات التقليد الأعمى، من حياة الإنسان فتصبح ذاته ذاتا عارفة متحركة باستمرار نحوالآفاق المعرفية المرجوة، هذا الوعي بآفاقه المعرفية، الذي يعيد صياغة حياة الإنسان وفق منظومة جديدة تنقل الإنسان من واقع التقليد والتبعية إلى آفاق الإبداع والاستقلال. وإن الوعي وحضور بنوده ومفرداته في حياة الإنسان، هوالمهاد الفكري الضروري للانعتاق والتحرر من قيود التقليد وأغلال التبعية وتحديات العولمة والانطلاق من آفاق نوعية إلى الأمام، ويتم بلورة ذلك انطلاقاً من الجمع بين البعد التاريخي التأصيلي، وبعد العصر وتطوراته، من خلال الاجتهاد الثقافي يمد المسيرة الاجتماعية بالأفكار التجديدية، التي تتجسد في أنشطة وأعمال إبداعية، يتجدد من خلالها المحيط الاجتماعي العام، فيتحول إلى محيط حيوي ذي فاعلية

مستمرة، ولا ريب أن حيوية المحيط وفاعلية الاجتهاد والتجديد الثقافي، سيخلق الواقع القادر على مواجهة تحديات العولمة. [50]

- اعتبار مبدأ **النسبية الثقافية** حيث يشير هذا المبدأ إلي أن ما هومناسب لموقف، أوثقافة ما قد لا يكون مناسبا لموقف مغاير، أوثقافة أخري، ومع الاعتراف بأن بعض الأحكام تكون ذات طبيعة مطلقة وخاصة تلك التي تتعلق بالقيم الأخلاقية، غير أنه حري بنا الوعي بمبدأ النسبية، والوعي بالفروق الفردية بين البشر عبر الأفراد والمجتمعات، وداخل الفرد نفسه على نحويمكّننا من إدارة العلاقات بصورة أفضل، والتعامل مع الآخرين كلّ بما يناسبه، وتفهّم إمكانية تغيّر وجهة نظر الفرد عندما يختلف السياق، وينموتفكيره وتتغيّر حاجاته وأولوياته كدالة لتغير الظروف.[51]
- **تفعيل دور الأجهزة الأمنية في تعزيز الأمن الفكري**، كأسلوب علاجي لكن يبقى دائماً في تبعية للأسلوب الوقائي، حيث أن الأصل هوعلاج الفكر بالفكر، لكن الانحراف الفكري المصحوب بانحراف سلوكي مثل العنف، الإرهاب، خرق القانون.... يحتاج إلى تدخل من قبل الأجهزة الأمنية، والتي تحتاج إلى ضرورة إعادة صياغة مهامها من خلال تحري الأسباب والمؤثرات الفعلية والعمل على القضاء عليها باستئصالها من الجذور.[52]

خاتمة:

إن حاجتنا للأمن الفكري هي كحاجتنا للأمن الغذائي وأشد، وليس أخطر على استقرار الأمة من رواج فكر دخيل يلقى أفرادا يتبنوه داخل المجتمع.

وبالنسبة للعولمة التي أصبحت تشكل اليوم تحديا متعدد الأبعاد، خاصة باعتبارنا غير منتجين لها ولا فاعلين فيها إلا بأضيق الحدود، وهذا وما يدفعنا لاستنهاض الكامن أوالمتبقي من إمكانياتنا الثقافية والاقتصادية لجعل وقع العولمة

---

[50] **بندر بن علي الشهراني، مرجع سابق الذكر، ص 170.**

[51] **نفس المرجع، ص 185.**

[52] **علي فايز الجحني، مرجع سابق الذكر، ص200.**

اقل خطرا علينا ولتوظيف العناصر الإيجابية فيها، ونعتقد أن العرب وعلى بالرغم من كل مظاهر السلبية البادية على أوضاعهم قادرون على الدخول عصر العولمة بثقة اكبر لو أعادوا إحياء المشاريع الوحدوية السياسية والاقتصادية ولكن على أسس جديدة وبرؤى جديدة، بإضفاء البعدين الديمقراطي والاقتصادي على هذه المشاريع.

وبذلك فإن العولمة ليست سيئة بالمطلق ولا جيدة بالمطلق، كما أنها ليست خيارا مطروحا على الدول والمجتمعات يمكنها الأخذ بها أو تجاهلها، بل هي نتاج لتحولات متدرجة عرفها العالم خلال عقود طويلة بل خلال قرون، تحولات هي في جانب منها بمثابة تطور طبيعي ومنطقي لترتيبات وأوضاع سابقة، وفي جانب أخر مخطط لها بحيث تأخذ مسارا يخدم قوى محددة ذات مصالح كبرى، ومن جانب ثالث تحولات مفروضة بفعل تفاعلات داخلية ودولية، وبالتالي نعتبر العولمة تحد يجب التكيف معه بغرض مواجهته للاستفادة من ايجابياتها والفرص التي تتيحها أو التقليل من مخاطرها والقيود التي تفرضها.

إذن فالعيب ليس بالضرورة في العولمة وغيرها من المصطلحات وما تحيل إليه من دلالات وما تنتمي إليه من منظومات فكرية أو نظم سياسية واقتصادية، بل العيب في من يستوردها ويتعامل معها، إما كمسلمات يتم التعامل معها وتطبيقها دون محاولة لإعمال العقل بتكييفها لتصبح مناسبة للخصوصيات التاريخية والموضوعية بما فيها الثقافية للمجتمع المستورِد لها، أو كخطر وتهديد يجب مقاومته والوقوف منه موقف المعارض والمحارب دون تفكير لا لشيء إلا لكونها مستوردة من الآخر، والأخر في نظر هذا التوجه عدولا يجوز الأخذ منه أو التشبه به.

والحل لا يتمثل في هاذين الرأيين المتشددين والمتعارضين، لأن كلاهما يمثل الانحراف الفكري كنتيجة لاختراق الأمن الفكري، بل ينبغي اتباع نهج التعامل العقلاني والموضوعي مع العولمة وغيرها من النظم الفكرية والاقتصادية المستوردة، وهذا يتطلب عقلاً متفتحاً وموضوعياً بمعنى الكلمة، ونقطة المنطلق في

التعامل معها هو التسليم بأن أغلب الانتاج الحضاري مصدره الحضارة الغربية بالشكل المطلق، كذلك نحن أمام انتاج محلي منعدم على مستوى الحضارة العالمية، وهذا ما يجعلنا غير قادرين على الاستغناء عن معارف وعلوم ونتاج الآخر الذي يمثل قائداً للعولمة، إذن الانغلاق على الذات والوقوف موقف الرافض لكل ما هو مستورد وجديد هو موقف ليس فقط غير عقلاني بل موقف غير أخلاقي، في نفس الوقت لا يعني ما سبق بأن علينا التسليم باستحقاقات وشروط العولمة وكل ما هو وافد دون تمحيص، من منطلق الزعم بعالمية الفكر وعالمية القيم والنظم السياسية والاقتصادية وخصوصا بعد انهيار المعسكر الاشتراكي وتأزم نظمنا السياسية وتبلد نظمنا الفكرية والثقافية، بل المطلوب التوفيق بين ما هو وافد من جانب وواقع مجتمعاتنا من جانب أخر دون إضفاء القدسية على أي من الطرفين.فالعولمة كمنظومات اقتصادية (اقتصاد السوق) وكمنظومة ثقافية (قيم وأنماط سلوك ولغة تخاطب) وكمنظومة سياسية (خطاب الديمقراطية وحقوق الإنسان)، تحتاج إلى تكييف لأنه من حيث المبدأ ومما هو علمي أن أية نظرية أو منظومة سياسية أو اقتصادية، لا تأخذ مصداقيتها وصلاحيتها إلا لأنها وليد بيئة اجتماعية وثقافية محددة ومعبرة عنها، ونتاج لشروط تاريخية وموضوعية، وتغير هذه الشروط يُفقد الفكر وما يرتبط به من ممارسة علميته وبالتالي عالميته، لأنه يتحول إلى فكر منفصل عن الواقع.

قائمة المراجع:

1. علي فايز الجحني،الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 1421.
2. علي هلال، تحديات الأمن القومي العربي في العقد القادم. عمان: منتدى الفكر العربي، 1986.
3. عبد السلام السليمان، صلة الغلوفي التكفير بالجريمة. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1427.
4. عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي.(نحوبناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب- دراسة وصفية لدور مؤسسات التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر

أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية)، بحث مقدم لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في العلوم الأمنية، قسم العلوم الشرطية بكلية الدراسات العليا في جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2001.

5. صالح بن محمد المالك،((دور الأمن الفكري في الحماية من الغزوالفكري))، الجزيرة، الرياض، العدد 11781، 30ديسمبر 2004.
6. أسامة أمين الخولي وآخرون، العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.
7. حمد مجدي محمود حجازي. الثقافة العربية في زمن العولمة، الرياض: دار قباء،2001،ص 27-29.
8. برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة. دمشق: دار الفكر، ط2، 2000.
9. حسن محمد طوالته، ((العولمة جذورها – مضامينها- أثارها رؤية قومية في العولمة)). مجلة دراسات دولية، العدد12، 2001.
10. بندر بن علي الشهراني،(تصور مقترح لتفعيل دور الدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكر)، مذكرة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير، كلية التربية جامعة أم القرى، الرياض، 2009.
11. عبدالرحمن بن عبدالله الصبيحي، ((الأمن الفكري في الإسلام مقوماته ومزاياه)). صفحة الرأي، الكويت، 2009.